كلمة الافتتاح

(١) كلمة عميد كلية الآداب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ

أما بعد...،

فاسمحوا لي أولاً أن أرحب بالأستاذ الدكتور جوزيف سكاتولين، أستاذ التصوف الإسلامي بالمعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية بروما – إيطاليا. وأيضًااسمحوا لي أن أرحب بالسادة العمداء وزملائي الأعزاء وأساتذتي الأفاضل... وبعد أن أثني على ما قدمته أ.د / صفاء عبد السلام من نشاط أكاديمي في مجال العمل العلمي والإداري بالكلية، وأقدر مجهوداتها وحرصها الشديد على إقامة هذا المؤتمر السنوي الدولي الأول لقسم الفلسفة، فإني على المستوى الشخصي وعلى المستوى الإداري أشعر بالفخر والعزة وأنا افتتح المؤتمر السنوي الدولي الأول لقسم الفلسفة، الذي أشرف أن أنتمي إليه باعتباري أستاذًا به.

أما المؤتمر وعنوانه (كيف نقرأ الفلسفة؟)، فأذكر دائمًا أن هناك مشكلات وقضايا عامة ترتبط بقراءة النص الفلسفي في كل زمان ومكان، وتلك تبدو الاختلافات حولها متعلقة بطريقة التناول وأسلوب الطرح، كما أن هناك مشكلات خاصة تفرضها طبيعة الزمان والمكان والسياق الذي جاءت فيه. وأعتقد أن في قضية القراءة تقفز كالعادة إلى الذهن تساؤلات من قبيل لماذا القراءة وحدها ؟ أو لماذا القراءة الآن ؟. وأحسب أن الإجابة عن هذين التساؤلين تعد مدخلاً إلى تناول القضية التي قام عليها هذا المؤتمر.

ومن ناحية أخرى أقدم كل الشكر إلى القائمين على هذا المؤتمر، وخاصة أ.د / صفاء عبد السلام (رئيس المؤتمر)، وأ.د / حربي عباس عطيتو (مقرر المؤتمر)، وأ.د / ماهر عبد القادر (المشرف العام على المؤتمر)، ود / أشرف حسن منصور (المدير التنفيذي للمؤتمر)، وبقية الزملاء الأعزاء بقسم الفلسفة على الإخلاص في العمل ليظهر القسم بهذه الصورة المشرفة، الأمر الذي جعلنا ندشن مؤتمرًا علميًا جديدًا لكلية الآداب يرتبط بقسم الفلسفة، أيًا كانت التسمية لهذا المؤتمر..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأخيرًا، أرحب بالسادة الضيوف وزملائي وطلابي الأعزاء، والحضور الكـــريم...
وباسم الله أفتتح المؤتمر السنوي الدولي الأول لقسم الفلسفة...

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته.

أ.د / عباس محمد حسن سليمان
أستاذ الفلسفة الإسلامية وتاريخ العلوم عند العرب
وعميد كلية الآداب جامعة الإسكندرية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٢) كلمة رئيس قسم الفلسفة ورئيس المؤتمر

- السيد الأستاذ الدكتور/رشدى زهران "رئيس جامعة الإسكندرية"
- السيد الأستاذ الدكتور/عباس محمد سليمان "عميد الكلية"
- السادة /وكلاء الكلية
- السادة الأفاضل /أساتذة وأعضاء هيئة التدريس بالكلية ..والسادة الحضور....أهلاً ومرحباً بكم حضوراً كريماً فى هذا الحدث الثقافى الهام فى تاريخ قسم الفلسفة ..
- الأستاذ الدكتور/جوزيف سكاتولين .."أستاذ التصوف الإسلامى فى المعهد الباباوى للدراسات العربية والإسلامية بروما،ودار كمبونى بالقاهرة،والراهب والباحث فى الكنيسة الكاثوليكية.وضيف شرف المؤتمر الذى نعتز اعتزازاً بالغاً بحضوره الكريم..
- كما يشرفنى أن أوجه التحية لروح أساتذتى الأجلاء فى هذه اللحظة الاستثنائية...إلى روح أ.د/أحمد محمود صبحى ، و أ.د/محمود فهمى زيدان،وأ.د/حبيب الشارونى، وأ.د/عبد الغفار مكاوى،وأ.د/محمود رجب ......فكم كنت أود أن نحيا هذه اللحظة معاً جسداً وروحاً.....رحم الله الجميع...

أما بعد.....

ولُدت فكرةُ المؤتمر منذ أعوام ...حينما قمتُ بمهمة منسق لجنة الفلسفة والديانات بمكتبة الإسكندرية.. وكان مقرر اللجنة آنذاك المفكر الكبير /محمود أمين العالم.. رحمه الله. الذى اقترح العنوان التالى: كيف نقرأ التاريخ؟ لندوة ناجحة عُقدت في المكتبة آنذاك تحت إشرافه، وضمَّت لفيفاً من الأساتذة الأجلاء.

ومنذ ذلك الحين، تراودنى فكرة قراءة النص،ويلحُ علي الحُلمُ الكبير: حلم إقامة مؤتمر دولىّ بقسم الفلسفة، وإذا بالفكرة تتجسدُ رويداً رويداً، وإذا بالحُلم وقد تحقق اليوم.... وبعد أعوام عديدة تعثرت فيها الفكرة، ثم هبت من جديد ريحاً طيبة تغدق الخير كله على قسم الفلسفة بجامعة الإسكندرية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- ولكن لِمَ قراءة النص الفلسفي؟

ربما لأن الفلسفة "نص" لفيلسوف، ونص لشارح فلسفته، ونص لناقدهِ، وربما لأن تاريخ النص الفلسفى إنما هو الفلسفة ذاتها، فالفلسفة هى تاريخها، إلا أنه تاريخ من نوع خاص، تاريخ حي لا يقف عند لحظة الماضي بل يتجاوزها إلى الحاضر والمستقبل.

إذن قراءة النص الفلسفي هي نقده، وربما نقد النقد،وكذلك مقاربته مع نصوص أخرى مشابهة أو مخالفة، أو هي دخول في مغامرة فكرية للكشف عن مواضع القوة والضعف فيه، وإزاحة النقاب عن مدى اتساقه أو تناقضه...

والمهم دائماً هو النقد الذى هو - فى تقديري - أهم درس تعلمنا إياه الفلسفة...

وهو أيضا.. وللأسف - ما يفتقر إليه العقل العربي في معظم الأحيان ...

مؤتمرنا هذا يحمل عنوان: كيف نقرأ الفلسفة؟.. وهو عنوان دال، يحتمل كل وجهات النظر في جميع فروع الفلسفة، ويحتفي بالقراءة الناقدة الواعية للنص الفلسفي القديم والمعاصر، وفى ذلك كله يكمن جلال الفلسفة وجمالها....

والمؤتمر أيضاً مناسبة فريدة لحوار العقول المفكرة الناقدة من داخل مصر وخارجها ربما لأول مرة في تاريخ قسم الفلسفة.. مما يجعل منه لحظة حاسمة نحياها جميعاً...

والأمل منعقد في أن نعاود اللقاء سنوياً – إنشاء الله - حتى نخرج من متاهة التقليد والمحاكاة للفكر الغربي، وننطلق إلى سماء الإبداع اللامتناهية نحن أنفسنا بأنفسنا.......

إذن ... تحريض على الإبداع .....

وهجر لكل نزعات الجمود والمحاكاة ....

ونبذ للتعصب وقولبة الفكر .....

ذلك هو مؤتمرنا الذي يحمل عنوان :-

{ كيف نقرأ الفلسفة ؟ }

رئيس قسم الفلسفة
ورئيس المؤتمر
أ.د/صفاء عبد السلام جعفر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٣) كلمة مقرر المؤتمر

أ.د/رشدى زهران **"رئيس جامعة الإسكندرية "**

أ.د/عباس محمد حسن **"عميد كلية الآداب -جامعة الإسكندرية "**

اسمحو لي في البداية أن أرحب بضيوف مصر الأعزاء من الأشقاء العرب والأساتذة والباحثين في مختلف الجامعات المصرية الذين يشرفون المؤتمر بالمشاركة والحضور..متمنياً لهم طيب الإقامة على أرض مصر الطيبة التي شهدت قيام واحدة من أعرق الحضارات وأعظمها فى تاريخ الإنسانية ..والتى يعيش على أرضها شعب من اكثر شعوب الأرض كرماً وأصالة وحباً للحق والعدل ورغبة فى التسامح والتعايش السلمى مع كل شعوب الأرض...أهلاً وسهلاً بكم فى الثغر الجميل"الإسكندرية"عروس البحر الأبيض المتوسط...

باسم الله نفتتح المؤتمر الدولى الأول لقسم الفلسفة بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية وعنوانه: "**كيف نقرأ الفلسفة؟**"

إذ بالقراءة المتفحصة الواعية نقف على كل الأمور، أمور العلم وأمور الثقافة وأمور الحياة .. لذا نجد أن أول آية نزلت على الرسول "ﷺ"

هي: { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ }..(العلق: ١)

والفلسفة محبة الحكمة .. والحكمة هى أرقى أنواع المعرفة الإنسانية .. وإذا كان المؤرخون يُقسِّمون التاريخ العام إلى حقبات أو عصور تاريخية مختلفة مثل التاريخ القديم، التاريخ الوسيط، والتاريخ الحديث، والمعاصر.

كذلك يفعل مؤرخو الفلسفة فإنهم يقسمونها إلى عصور أو أزمنة تاريخية، فهناك الفلسفة القديمة من شرقية ويونانية، وفلسفة العصور الوسطى، مسيحية، وإسلامية، والفلسفة الحديثة، والفلسفة المعاصرة.

ولكل عصر طابعه المميز ومزاجه الفكرى تماماً، فالحضارات الشرقية يسيطر عليها التطبيق العملى، فى حين أن الحضارة الإغريقية يسود فيها التفكير النظرى إذ أنهم حاولوا بناء نظرية شمولية للكون، والعصور الوسطى تتسم بالروح الدينى حيث تفاعل الفلاسفة المسلمون مع الإرث اليونانى دامجين إياه مع التجربة، ومحولين الفلسفة الواقعية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى فلسفة سمية. واتجه فلاسفة عصر النهضة وجهة تجريبية وفصلوا بين الفلسفة والدين، وتميزت الفلسفة فى العصر الحديث بالطابع العلمى والتحرر من سلطان الكنيسة، وأصبحت فلسفة نقدية فى المعرفة، كما أنها تتضمن إنتاجاً دولياً، إنها بمثابة تراث إنسانى دولى تتناوله الأمم المختلفة بالنقل والترجمة، أى أنها أصبحت إنتاجاً يعبر عن حياة الشعوب وآمالها ومشاعرها بقطع النظر عن الدين والعقائد المختلفة.

وفى الحقبة المعاصرة ظهرت عدة اتجاهات ومذاهب فلسفية ارتبطت فى نشأتها ببعض الأحداث الهامة، منها الثورة على فيزياء نيوتن والتقدم العلمى والمادى الكبير الذى أحرزته العلوم الطبيعية نتيجة اصطناعها المنهج التجريبى والإيمان بقيمة الرياضيات والاستناد إلى التحليل الرياضى الذى يمثل دقة التفكير،حيث إن ظهور الهندسات اللا إقليدية مثل هندسة ريمان، ولوباتشفسكى"، هى المعين الذى أقام عليه أينشتين علم الطبيعة الحديثة ،فضلاً عن تحليل فرويد للعقل الإنسانى واكتشاف اللاشعور، وبيان دوره فى توجيه سلوك الأفراد وفى تفسير كافة أعمالهم.

ومن أبرز هذه التيارات المعاصرة "الواقعية الجديدة، الاتجاه الحدسى، والوجودية، والشخصانية، والبنيوية، والتفكيكية، والحداثة وما بعد الحداثة، والعدمية وغيرها.

فروع الفلسفة كثيرة وموضوعاتها متعددة تشمل الوجود، والمعرفة، والقيم، والمنطق، وموضوعات فلسفة العلم ،والسياسة، والمنطق بأنواعه المختلفة" صورى، واستقرائى" أو "مادى، ورياضي".

من هنا تأتى أهمية دراسة نصوص الفلسفة وقراءتها قراءة متأنية والوقوف عندها لتحليلها ونقدها واستنباط ما يمكن استنباطه منها .

يشارك فى هذا المؤتمر ثمانية وأربعين باحثاً من بعض الدول العربية، والجامعات المصرية، تغطى أغلبية فروع الفلسفة التى أشرت إليها سابقاً.

وفى نهاية كلمتي أتوجه بشكري العميق لكل الجهود المخلصة التي شاركت في إنجاح هذا المؤتمر من لجان تنظيمية وتحضيرية من أعضاء هيئة التدريس، والهيئة المعاونة بالقسم ....

ويسعدني أن أتقدم بخالص شكري وتقديري العميق إلى الأستاذ الفاضل /أحمد الوكيل "رئيس عام اتحاد الغرف التجارية بجمهورية مصر العربية " لدعمه الكريم للمؤتمر.. ونتمنى لسيادته الصحة والعافية والعطاء المستمر...

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والشكر موصول إلى الدكتور/مدحت عيسى "مدير مركز المخطوطات بمكتبة الإسكندرية " على دعوته الكريمة للمشاركين فى المؤتمر بزيارة المكتبة والمخطوطات ومتحف الآثار بها...

وأخيراً أتمنى للمؤتمر النجاح والسداد، وأن يعقبه بإذن الله مؤتمر ثان وثالث..

والله الموفق لما فيه الخير ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مقرر المؤتمر
أ.د/ حربى عباس عطيتو
"أستاذ الفلسفة القديمة والوسطى"
"كلية الآداب-جامعة الإسكندرية"

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٤) كلمة المشرف العام على المؤتمر

كيف نقرأ الفلسفة؟

سؤال على درجة كبيرة من الأهمية التى جعلت قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة الإسكندرية يخصصها له المؤتمر الدولى الأول (٧-٨نوفمبر ٢٠١٥) لمناقشة قضايا الفلسفة المختلفة فى تطورها وبنيتها التاريخية ودورها فى المجتمع أيضاً....

يأتى مؤتمر"كيف نقرأ الفلسفة؟" مواكباً لمجموعة من المتغيرات التى تحدث على الصعيدين العربى والعالمى – فمن جهة تجتاح رياح التغيير منطقة الشرق الأوسط،وعلى وجه الدقة البلدان العربية التى شهدت انتفاضة الشباب على موجات،فيما عرف باسم "الربيع العربى"، ومن جهة أخرى ما تشهده المنطقة العربية، ومنطقة الشرق الأوسط بالذات،من تدخلات وصراعات سياسية وعسكرية من جانب الدول الغربية....

وهذا صراع لرسم حدود مناطق النفوذ،ومحاصرة البعض للبعض،وليس أدل على هذا مما يحدث فى ليبيا وسوريا واليمن....

كل هذا يستدعى تأمل الفلسفة ووقفتها لقراءة أجندة الأحداث التى تدور حولنا،كما يستدعى أيضا حضور الوعى بالقضايا المصيرية للوقوف على دور الفلسفة "درساً"، "ومنهجاً" لرسم حدودنا الثقافية والفكرية التى تتعرض للتجريف يوماً بعد آخر.....

وهذا المؤتمر"كيف نقرأ الفلسفة"؟ ينظر للفلسفة نظرة كلية عبر تاريخها الطويل، وأرادت أوراقه العلمية أن تتخذ موقفاً تحليليا نقديا للفلسفة يتواكب مع متغيرات العصر.......

وانطلاقاً من هذا الفهم، فإن قسم الفلسفة بكلية الآداب – جامعة الإسكندرية يعقد الآمال على مؤتمركم هذا،وما يُقدم فيه من بحوث ودراسات، نعتقد من جانبنا ،أنها سوف تمثل إضافة للبحث العلمى،كما وسوف تثرى الدرس الفلسفى......

والله ولى التوفيق.....،

المشرف العام على المؤتمر
أ.د/ ماهر عبد القادر محمد
أستاذ المنطق وفلسفة العلوم وتاريخها
قسم الفلسفة – جامعة الإسكندرية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٥) كلمة ضيف شرف المؤتمر

كيف نقرأ الفلسفة؟

كلمة افتتاحية في مؤتمر'كيف نقرأ الفلسفة'

المؤتمر الدولي الأول لقسم الفلسفة بكلية الآداب- جامعة الإسكندرية

٧- ٨ نوفمبر ٢٠١٥

في بداية كلمتي هذه أود أن أتقدم بخالص الشكر لقسم الفلسفة بكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، على هذه الدعوة الكريمة وعلى التنظيم الراقي لهذا المؤتمر، وكذلك الشكر موصول إلى الأستاذة الدكتورة صفاء جعفر رئيسة قسم الفلسفة.

وكذلك أشكر كل الحضور الكرام الذين تفضلوا بحضورهم إلى هنا، وخاصة في هذا الطقس العاصف والمتقلب الذي أربكنا جميعاً.

وأود أن أذكر أنني هنا في مصر أشعر بأنني في وطني، فمصر وطني بالتبني حيث إنني مقيم فيها منذ عام ١٩٧٩م، لذلك أشعر بأنني إيطالي مصري، أو مصري إيطالي، ويسرني أن أشترك في نشاطاتها الثقافية مثل هذا المؤتمر مع روح متفتح للتبادل والحوار.

****

١- قضية الفلسفة

ما الفلسفة وما أدراك ما الفلسفة؟ أظن أننا اليوم فقدنا معنى هذا المصطلح، إذ إننا نجده مستعملاً في لغتنا اليومية التسويقية في كل شيء حتى التافه منها.

فنسمع عن فلسفات مختلفة مثل فلسفة الرياضة، وفلسفة الأزياء وفلسفة الموضة... إلخ. وكأن الفلسفة مثل الجُبن شيء يصلح لكل طعام...

إن هذا التسويق لمصطلح الفلسفة لا يُفيد بالتأكيد في توضيح معناها الحقيقي، بل يُدخلنا هذا الاستعمال التسويقي في جوٍّ ضبابي يتلاشى فيه ملامح المفاهيم والأفكار حتى يصيرَ كل شيء يعني كل شيء حسب نزوات الكتاب والقراء.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لذلك أرى أن هناك حاجةً مهمة وملحة للرجوع إلى المعنى الأصلي والحقيقي لهذا المصطلح، مع الحفاظ عليه ضد التدخلات السطحية التي طرأت ولا تزال تطرأ عليه عبر مرور الزمان.

إذن، هناك قضيةٌ قائمة حول مفهوم الفلسفة في عصرنا بلا شك، وهناك حاجة إلى تجديد تعريفها لكي يرجعَ مصطلح الفلسفة شيئًا مفيدًا في عالمنا المعولم، عالم خاضع للمصالح الكبرى التي تسيطر حتى على أذهاننا وأفكارنا، بل ونمط حياتنا.

ومعروف أن أرسطو قال: إن الفلسفة نشأت من التعجب، أي تعجب الإنسان أمام الوجود. لماذا الوجود؟ لماذا هناك الوجود ولا اللاوجود؟ وما مصدره وما غايته؟ ويطفو هذا التعجب في ذهن الإنسان وراء كل التساؤلات الأخرى التي تمس القضايا اليومية القريبة حول الحاجات المادية المتداولة في عالمنا البشري، ولكنها أبدًا لا تُشبع تعطش قلبه لمعرفة وفهم الحقيقة المطلقة.

إذن، فالفلسفة تعتني بقضية الوجود أولاً وأخيرًا، وليس بقضايا فرعية ثانوية التي لها نظامُها الخاصُّ بها. ويجب أن نثبت أنه ليس صحيحًا أن كل نظام منطقي في مجال معين من الحياة البشرية يمثل نوعًا من الفلسفة، وإلا يتلاشى مضمونها الأصيل حتى تصير تعنى كل شيء ولا شيئًا في الوقت نفس.

إذن، تنشأ الفلسفة من التساؤل الوجودي، وبالتالي إذا فقد الإنسان هذا التساؤل الوجودي، فَقَد معه جوهره كإنسان، وهذا لأنه يكون قد صار مجرد شيءٍ بين الأشياء، أو ربما نوعًا من الرُوبوت على أعلى مستوى تقني، ولكنه لا يعود إنسانًا بمعنى الكلمة. وهذا في رأيي يمثل خطرًا جسيمًا يواجهه الإنسانُ المعاصر في عالمنا المعولم الخاضع للمصالح الكبرى من جهة أصحاب الموارد الاقتصادية العالمية. فيجوز بالتالي القول بأن الإنسان سيظل إنسانًا طالما بَقِي هذا التساؤل الوجودي حيًّا فيه، وإلا سيتلاشى مع تلاشيه، وسيتشيأ بين الأشياء.

ونرجو أن نسمع في هذا المؤتمر تأملات وتفكرات وتبصرات عديدة ومتنوعة حول هذا الموضوع المهم. إذن، من الممكن أن نُجيب عن سؤال ما الفلسفة؟ بأنها التساؤل الإنساني حول الوجود ومعناه الأخير.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢- الإنسان كائنًا متسائلاً

يتساءل الإنسان قبل كل شيء عن معنى وجوده وحياته. وعلى هذا الأساس يمكن تقديمُ تعريف للكائن البشري يوازي بل يُكمِل ذلك الذي قدمه أرسطو عندما وصف الإنسان بأنه "كائنٌ أو حيوان ناطق" (أي منطقي، عاقل - logikòs). فيمكننا أن نقول: إن الإنسان، في جوهره هو "الكائن المتسائل"، أو قُلْ هو "الكائن في بحث مستمر". والواقع أن البحثَ المستمر والتساؤلَ المتواصل والإشكاليةَ المتجددة أكثر فأكثر عن معنى وجوده الفردي والكلي، هي الملامح الجوهرية التي تشكِّل، بل تميِّز الكائن البشري بقدر ما هو "كذلك" أي إنسان.

هكذا، يتميز الإنسان عن سائر الكائنات التي تبدو مدفوعة بقُوًى مختلفة من فيزيائية وكيماوية وبيولوجية... إلخ، قُوًى تحرِّكها بشكل محدَّد وثابت مع مرور الوقت، وبالتالي فإنها، أي تلك الكائنات، بعيدة كل البُعد عن أي شكل من البحث والتساؤل.

فالإنسان إذن، بخلاف الكائنات الأخرى يُثبت أنه الكائن السائل والمتسائل بلا انقطاع. فهو ذلك الكائن الذي يطرح دائمًا عقِب كل إجابة أسئلةً أخرى، متزايدة ومتجددة. إنه الكائن الذي يتحرك مدفوعًا برغبة دائمة في المعرفة لا تنقطع، وفي بحث دائب عن معنى وجوده ووجود الكائنات المحيطة به لا ينفَد. هذا على الأقل ما دام إنسانًا... فمَن يدري؟ ربما سيأتي يوم يتوقف فيه الإنسان عن كونه إنسانًا، ربما سيختزله الطغيان التكنوقراطي المتزايد إلى مجرد آلة للإنتاج والاستهلاك دون أي أفق مفتوح يتطلع من خلاله به إلى ما وراء التلاعب التكنولوجي الجافّ. حينذاك سيتحقق القول الذي أردِّده منذ وقت: "إن الإنسان صنع الآلة، ثم تحولّ على صورتها ومثالها، بل صار لها خادمًا". فعند ذلك الحد سيتوقف الكائن الإنساني عن كونه إنسانيًّا (human)، كي يتحول- ومَن يدري؟- ربما إلى "آلة روبوتية مُتقَنة" تعمل وتُنتِج وتَستهلِك في إطارِ نظامٍ روبوتيٍّ عامٍّ محكَم، في خدمة آلة روبوتية أسمى (Super-robot). حينذاك سيكون هذا الإنسان- الروبوتي (human-robot) قد توقَّف عن كونه إنسانًا، فلن يعود يتساءل بعدُ عن معنى وجوده إذْ إنه قد حُدِّد له سلفًا من قِبَل "الروبوت الأسمى" الذي عيَّنه لمجرد وظيفة عملية له، وعليه أن يتلاشى بعد أداء وظيفته بلا أسف، لأن هناك آلات روبوتية أخرى أكثرُ منه تقدمًا وإتقانًا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هل سيكون هذا المصيرَ الأخير للبشر في عالمنا المعولم، حسب ما يظهر في أفقنا المعرفي الحاضر؟ ومما لا شك فيه أن هذا الاحتمال يمثِّل علامةَ استفهام جسيمة تخيِّم على وجودنا البشري في عالمنا المعولم.

وإلى جانب ذلك، يجب أن يُلاحَظ أن هذا التساؤل الإنساني الأساسي، إذا سُبِر وكُشف في غوره الأعمق، يبدو أنه في حقيقة الأمر دعوةٌ إلهية مغروسة وراسخة في صميم قلب الكائن البشري. فهذا التساؤل يمثل العلامة الأولى التي تشهد على حضور الله في صميم الضمير الإنساني. فالكائن البشري يلجأ ويتجه إلى ذلك التساؤل لأنه يشعر في أعماق قلبه بأنه مسئول من طرف أساس (Ground) كيانه: ما نسميه الله.

والواقع أن الإنسان يكتشف أنه "مسئول" لأنه واعٍ كلَّ الوعي بوجوب الإجابة عن وجوده، وهذا لأن لديه الوعيَ العميق بأن وجوده ليس "له"، كمِلك مطلَق، إنما هذا الوجود أُعطي له كدعوة وواجب، وأخيرًا كمسئولية.

إذن، من هذه التأملات في الوجود الإنساني يتَّضح أن السؤالَ والتساؤل، والبحثَ عن الذات والسعي إلى تحقيقها هي السمات الأساسية والجوهرية التي يتميز بها الكائن الإنساني من حيث هو كذلك، أي "إنسان". إلا أن هذه التساؤلات تمثِّل في الوقت ذاته دعوةً إلهية أصلية موجَّهة إليه، دعوةٌ إلى المسئولية والاختيار على مستوى الوجود. وهذه التساؤلات حول الوجود تمثل في رأينا جوهرَ الفلسفة حسب معناها الأصلي والأصيل.

٣- الفلسفة والدين

وهناك إلى جانب هذا التساؤل الفلسفي الأساسي نجد مجالاً آخر للبحث الإنساني، وهو الظاهرة الدينية التى تعتني أيضًا بمعنى الوجود والإنسان المتواضع فيه. هل هناك صلة بين الفلسفة والدين؟ أم يجري كل واحد منهما في وادٍ بعيدٍ عن الآخر، بل وفي تناقض دائم بينهما لا يمكن رفعه؟ هناك بينهما اختلاف أكيد بلا شك، فالفلسفة أساسها العقل، أما الدين فأساسه الإيمان، وشتان بينهما! وهناك بطبيعة الحال آراء مختلفة بين التوافُقية والتناقُضية. أما من جانبنا فنرى أن هناك أكثر من صلة بين الفلسفة والدين، وهذا لأنهما يهتمان بالحقيقة نفسها، هي قضية الوجود، وخاصة بالكائن البشري نفسه الذي بلا شك هو الهمُّ الأكبر لكلٍّ منهما. والواقع أن مصير الإنسان هو القضية الكبرى لكليهما، الفلسفة والدين.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإذا كانت الفلسفة تهتم في المقام الأول بالإنسان ككائن متسائل حول الوجود ومعناه الأخير، فالدين يهتم بالإنسان ككائن متلقٍ للإجابات حول معنى الوجود التي قد تأتيه من طرف المطلق، إجاباتٌ تمس القضايا الأساسية التي تقلق الكائن البشري في صميم قلبه. إذن، هناك جدلية قائمة بين الفلسفة والدين، أو قل بين العقل والإيمان، وهذه الجدلية موجودة منذ بداية تساؤل الإنسان عن وجوده ومعناه.

والقضية في أساسها هي: هل سيظل التساؤل البشري قائمًا إلى الأبد دون أن يتلقى من المطلق أيَّ إجابة كانت؟ هل سيظل المطلق السرَّ المغيَّب الصامت وراء الكل بدون أن يكلِّم الكائنات التي منه صدورها وإليه مصيرها؟ ومَن يمكنه أن يمنع المطلق من هذا؟ هل سيسقط التساؤل البشري في فراغ رهيب، هو العدمية المطلقة؟

فالقضية، إذن، قضيةٌ إنسانية في المقام الأول، وهي تمس الكل، حسب القول الشهير للكاتب الروماني ، تيرينسيوس أفير (Terentius Afer) (ت١٨٤ ق.م): "أنا إنسانٌ، فيهمُّني كلُ ما يهم الإنسان". والواقع أن الإنسان منذ بدء إنسانيته وتاريخه ظل يطرح دائمًا لنفسه تلك التساؤلات الوجودية، وهو في انتظار دائم للرد من مصدر وجوده ومنبع حياته. فهذه قضيةٌ إنسانية كبرى وهي متصلة اتصالاً وثيقًا بالتساؤل الفلسفي كما وصفناه سلفًا.

وبالتالي، إذا قلنا إن الإنسان كائن عاقل ومتسائل، علينا أن نقولَ أيضًا في الوقت نفسه: إن الإنسان كائن متدين من أساسه، فالتساؤل الديني مترسخ فيه، فلا مفر له منه. وذلك لأن الإنسان ينفُذ في بحثه المتواصل إلى عمق الوجود، أي إلى كنهه المتسامي الذي هو المصدر الأول والهدف الأخير لكلية الوجود. من ثم، فإن البعد الديني أوالبُعد المقدس يبقى دائمًا بُعدًا ملازمًا لكيان الإنسان على ما هو عليه.

وهنا يتسع المجال في دراسة الظاهرة الدينية عبر التاريخ البشري في مظاهرها وتوجهاتها المتعددة، لا يتاح لنا الوقت لمعالجتها معالجة شافية. نشير هنا فقط إلى بعض القضايا المتعلقة بالظاهرة الدينية التي لا تزال موضوع مناقشات بين المفكرين من شتى الثقافات البشرية.

هناك قضية التعددية الدينية، فمن معطيات واقعنا التاريخي البشري التي لا تقبل الشك أو الجدال أننا لا نعثر عبر التاريخ البشري على "الدين"، (بألف ولام العهد) (the Religion)، أي على دينٍ واحد موحَّد، مطلقِ الوضوح، والمعترف به عند الجميع، بقدر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما نعثر على "عدة أديان" مختلفة. إذن، فالتعددية الدينية هي واقع تاريخي قائم، وهي من المعطيات الثابتة في التاريخ البشري، لا مفرَّ منها.

كذلك، لا بد من الإشارة إلى قضية أخرى خطيرة، هي القضية الهرمنيوطيقية للغة الدينية. والسؤال هو: إذا أراد المطلق أن يجيب عن التساؤل البشري، فكيف تكون لغته؟ هل هي شبيهة باللغة البشرية؟ أم له لغة خاصة تفوق مستوى لغتنا، ولها إشارات خاصة، وكيف ذلك؟ وهلمَ جرًّا من مثل هذه التساؤلات في هذا المجال.

ويجمل لي أن أذكر في هذا الصدد قولاً حكيمًا لصوفي شهير، هو عبد الجبار النفري الذي قال: "كلما اتسعت الرؤية، ضاقت العبارة"، فالفرق يتسع بينهما.

وأخيرًا، لا شك أننا سنستمع في هذا المؤتمر إلى الكثير من التبصرات حول هذه القضايا الإنسانية المهمة.

وأشكركم جزيلَ الشكر على حسن استماعكم.

أ. د. جوزيبي سكاتولين
أستاذ التصوف الإسلامي
بالمعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية
بروما – إيطاليا، وضيف شرف المؤتمر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com